العطف عند سيبويه دراسة وفق مبادئ التحليل الحديثة

م.د. نرجس عبد الرضا حسين **م.م. منال فالح حزام**

جامعة ذي قار / مركز التطوير التعليم المستمر **جامعة ذي قار / كلية التربية للعلوم الإنسانية**

dr.narjus.abdul.husayn@utq.edu.iq

dr.manal.faleh.hezam@utq.edu.iq

الملخص:

انطلاقاً من أهمية كتاب سيبويه (قرآن النحو) ، وهو أول كتاب في علوم العربية وصل إلى أيدينا ، ونظراً لأهمية النصوص القديمة ، وضرورة اعادة قراءتها بمنظار حديث ، قدّمنا هذه المحاولة التحليلية. تقوم فكرة هذه المحاولة على دراسة نص التشريك (العطف) وتحليله في كتاب سيبويه ، إذ وجدنا أنَّ هذا النص لم يُحلَّل ، ولم يدرس كنص نحوي قديم وفق مبادئ التحليل التي قال بها (د. فخر الدين قباوة) أو غيرها. فبدأنا العمل عليه بالاستناد على عناصر التحليل الأساسية الموجودة في كتاب (تحليل النص النحوي منهج ونموذج) للدكتور فخر الدين قباوة.

فجاءت الدراسة على شكل محاور تضمّنت عناصر التحليل وتفرعاتها ، وهي بعد النص مرتبة كالآتي : العنصر الفكري (الهيكل الفكري ، تنسيق الفكر ، خصائص الاستدلال ، خصائص الأحكام ، خصائص التعريفات) ، العنصر التعبيري ، الحصيلة التقويمية.

الكلمات المفتاحية : (العطف ، الإشراك ، النص ، الاستدلال ، الإعراب).

Analysis of an ancient grammar text from the book of Sibawayh by choice

Dr . Narjus.abdul.husayn

Manal Faleh Hezam

University of Thi-Qar

Abstract:

Based on the importance of Sibawayh's book (Qur'an Grammar), which is the first book on Arabic sciences that reached our hands, and in view of the importance, modernity, and necessity of analysis of ancient texts, we presented this analytical attempt. The idea of this attempt is based on analyzing the text of the Tashrik (conjunction) in the book of Sibawayh, as we found that this text was not analyzed, nor was it studied as an ancient grammatical text according to the principles of analysis stated by (Dr. Fakhr al-Din Qabawa) or others. So we started working on it based on the basic analysis elements found in the book (Analysis of Grammatical Text, Method and Model) by Dr. Fakhr al-Din Qabawa.

The study came in the form of axes that included the elements of analysis and their branches. After the text, they are arranged as follows: the intellectual element (intellectual structure, coordination of thought, characteristics of inference, characteristics of judgments, characteristics of definitions), the expressive element, and the evaluative outcome.

Keywords: (Conjunction, involvement, text, inference, parsing).

المدخل :

نص سيبويه (الإشراك) :

هذا باب ما أَشْرِكَ بين الاسمَيْنِ في الحرف الجار فَجريا عليه

كما أشرك بينهما في النَّعْت فَجَرَيا على المنعوت

وذلك قولك : مررتُ برجلٍ وحمارٍ قبلُ . فالواو أشركتْ بينهما في الباء فجريا عليه ولم تجعلْ للرَّجل منزلةً بتقديمك إياه يكون بها أولى من الحمار .

كأنك قلت : مررتُ بهما . فالنفي في هذا أن تقولَ : ما مررتُ برجلٍ وحمارٍ ، أي ما مررتُ بهما ، وليس في هذا دليلٌ على أنّه بدأ بشيء قبل شيء ، ولا بشيء مع شيء ، لأنَّه يجوز أن تقول : مررتُ بزيدٍ وعمرٍو والمبدوءُ به في المرور عمرٌو، [ويجوز أن يكون زيداً] ، ويجوز أن يكون المرورُ وقعَ عليهما في حالةٍ واحدة .

فالواوُ تجمع هذه الأشياء على هذه المعاني . فإذا سمعتَ المتكلِّم يَتكلم بهذا أجبتَه على أيَّها شئتَ ؛ لأنها قد جَمعتْ هذه الأشياءَ . وقد تقول : مررت بزيدٍ وعمرٍو ، على أنَّك مررت بهما مُرُرَيْن ، وليس في ذلك [دليلٌ] على المرور المبدوء به ، كأنّه يقول : ومررت أيضا بعمرٍو . فنفْيُ هذا : ما مررتُ بزيد وما مررتُ بعمرٍو.

وسنبيِّن النفي بحروفه في موضعه إنْ شاء الله .

ومن ذلك [قولك] : مررتُ بزيدٍ فعمرٍو ، ومررتُ برجلٍ فامرأةٍ . فالفاءُ أشركتْ بينهما في المرور ، وجعلتِ الأوّل مبدوءاً به. ومن ذلك : مررتُ برجلٍ ثُمّ امرأةٍ ، فالمرورُ هنا مُرورانِ ، وجعلَتْ ثُمّ الأوّل مبدوءاً به وأشركتْ بينهما في الجّر.

ومن ذلك [قولك] : مررتُ برجلٍ أو امرأةٍ ، فأوْ أشركتْ بينهما في الجّر ، وأثبتت المرورَ لأحدِهما دون الآخر ، وسوّتْ بينهما في الدّعْوى.

فجواب الفاءِ : ما مررتُ بزيدٍ فعمرٍو. وجوابُ ثُمّ : ما مررتُ بزيدٍ ثمّ عمرو . وجوابُ أو إن نفيتَ الاسمينِ : ما مررتُ بواحدٍ منهما. وإن أثْبتّ أحدَهما قلتَ: ما مررتُ بفلان.

ومن ذلك : مررتُ برجل لا امرأة ، أشركتْ بينهما لا في الباء وأحقَّتِ المرورَ للأوّل وفصلَتْ بينهما عند من التبساَ عليه فلم يَدْرِ بأيّهما مررتَ.

المحاور الرئيسة للبحث:

أولاً/ العنصر الفكري:

لقد ساعدَتنا القراءات المتوالية لموضوعِ العطف في كتاب سيبويه أن نضع أيدينا على خطوط واضحة من طريقة سير المعلومات وتقنيتها وانتظامها في الشكل الذي وصلت به إلينا. فالنقاشات العلمية والقراءات المتعددة ، فتحت المسارب الخفية التي سلكتها عناصر الفكر في تشكّلها وتضافرها وتأديتها المقاصد الواعية لمؤلفها ، ويسرّتْ لنا أيضاً رصد تلك الخصائص والمميزات ؛ لتوظيفها في رسم التحليل العلمي المنشود. وفي العنصر الفكري ما يأتي:

١- الهيكل الفكري:

الذي يطلع على موضوع العطف (الإشراك) في الكتاب ، يجدُ أن سيبويه لم يتحدث عنه في موضع واحد من كتابه ، إذ عالج الموضوع في مواضع متفرقة تكاد تتوزع صفحات الكتاب كله دون الوصول إلى نظرية واحدة مقررة فيه. فهو يتحدث عن العطف بحسب مناسبة الحديث عن حروفه أو أحوال الإعراب ، دون أن يسميه بالاسم إلا نادراً [١]، فقد تحدث عنه وعن حروف الإشراك والمعاني التي ترتبت عليها تبعاً لكل حرفٍ من حروف العطفِ في الجزء الأول من الكتاب ، في باب بعنوان

(هذا باب ما أُشرك بين الاسمين في الحرف الجار فجريا عليه كما أشرك بينهما في النعت فجريا على المنعوت) [٢].

ثم تحدث في الجزء الثاني من الكتاب عن الإشراك بين المظهر والمضمر ، أي عطف المظهر على المضمر. كذلك بيّن مواضع حُسْن العطف وقبحه بين المظهر والمضمر ، أي: بيّن مواضع الحسن في إشراك المظهر للمضمر المنصوب أو قبحه ، إذا كان المضمر في موضع جرٍّ أو رفع. وهذه الحيثيات عالجها في باب بعنوان **(هذا باب ما يَحسن أن يَشْرَك المظهَرُ المُضمَرَ فيما عَمل وما يَقبح أن يَشرك المظهَرُ المُضمَر فيما عمل فيه)**[٣].

كالعادة في جميع أبواب الكتاب ، لم يضع سيبويه حداً إنشائياً للعطف (الإشراك) ، وبدأ بالتمثيل ليقعّد بقوله : ((وذلك قولك : مررتُ برجلٍ وحمارٍ قبلُ . فالواو أشركت بينهما في الباء فجريا عليه ، ولم تجعلْ للرَّجل منزلةً بتقديمك إياه يكون بها أولى من الحمار...))[٤]. وشرح السيرافي ذلك بقوله: ((كأنك قلت مررتُ بهما))[٥]. ويظهر أنَّ الحد عند سيبويه قد يكون مثالاً وقد يكون قاعدةً.

اعتمد سيبويه في طرح أفكاره على أساس منظم قائم على الإجمال ثم التفصيل الموجز. فنصه في التشريك موجزاً ، ولم يفصّل كثيراً ولعل السبب في ذلك ؛ هو أنَّ الباب ليس مخصصاً للتشريك. والتشريك إنَّما جاء جزءاً من هذا الباب ، وليس كله.

٢- تنسيق الفكر :

من خلال تتبع حركة التفكير لدى المؤلف في هذا النص نجده يسير في خطوط واضحة ، يراعي فيها الآتي:

أ – تقديم الأقوى في العمل والمعنى على الأقل قوة ، ليكون في خط ذهني منطقي:

فعندما شرّع سيبويه بتوضيح حروف العطف بدأ بحرف الواو ، وهو أبرز حروف العطف وأقواها ، فهو يفيد الإشراك بين المعطوف والمعطوف عليه في المعنى والإعراب ، قال: ((فالواو تَجمع

هذه الأشياء على هذه المعاني. فإذا سمعت المتكلم يتكلم بهذا أجبته أيها شئت ؛ لأنَّها قد جَمعتْ هذه الأشياء. وقد تقول :مررتُ بزيدٍ وعمرو ، على أنّك مررت بهما مُرورَيْن ، وليس في ذلك [دليل] على المرور المبدوء به ، كأنه يقول : ومررتُ أيضاً بعمرو . فنفى هذا : ما مررتُ بزيد وما مررتُ بعمرو))[٦]. وعندما شرح السيرافي هذا النص أكد على المعنى نفسه (دلالة الواو على مطلق الجمع) ، بقوله : ((فأما الواو: فإنها مع إشراكها بينهما في الإعراب تشرك بينهما في المعنى حتى يكون الثاني داخلاً فيما دخل الأول فيه من المعنى المذكور للأول في الجمع والتفريق. فالجمع : مررتُ بزيد وعمرو ، وقد مررت بأحدهما في وقت ، وانقطع مرورك ثم مررت بالآخر بعد حين))[٧].

وممَّا يؤكد صحة مبدأ سيبويه (قوة عمل الواو) ، هو الجدل الذي أثاره العطف بالواو بين الباحثين قديماً وحديثاً. فمن النحاة من يرى أنَّ الواو للترتيب مطلقاً، سواء أكانت عاطفة في المفردات أم في الجمل[٨].

ولقد أشار سيبويه إلى: ((أنَّ العرب يقدمون في كلامهم ما هم به أهم ، وبيانه أعنى ، وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعينانهم))[٩].

ومنهم من يرى أنَّ الواو للترتيب حيث يستحيل الجمع[١٠]، كقوله تعالى : ((**اركعوا واسجدوا**)) [سورة الحج: ٧٧].

كما أنَّ الإشراك بين المتعاطفين حين يكون حرف العطف واواً ، يكون على شكلين[١١]:

١- اشراكٌ في اللفظ: من حيث المطابقة في الاسمية أو الفعلية ، والرفع والجر والجزم مع الاشتراك في التبعية الإعرابية ، فيتبع الثاني الأول في اثنين من ستة.

٢- الاشراك في المعنى: في الوقت الذي ركز فيه القدامى على التبعية الإعرابية في موضوع العطف ، نجد المحدثين اهتموا بجانب آخر وهو التشريك بين المعطوف والمعطوف عليه في الحكم على حد تعبير سيبويه[١٢]. لذا رأى إبراهيم مصطفي فصل العطف عن التوابع ، بقوله: ((وباب العطف إذاً ليس له إعراب خاص ، وليس جديراً أن يُعدّ من التوابع ، ولا أن يفرد بباب لدرسه))[١٣] ،

ومثله فعل الدكتور مهدي المخزومي ؛ إذ يعتقد أن عطف النسق ليس من التوابع؛ لأنَّ ما بعد الحرف شريك لما قبله في الحكم إسناداً أو إضافة[١٤]. بينما يرى د.رعد هاشم أنّ الحدث قد يختلف بين المتعاطفين، والإشراك يكون نسبياً ، وليس مطلقاً مما يسبب أحياناً الفصل بين المتعاطفين، وإنَّ إرادة الاختلاف بالحدث هي التي استلزمت نمطاً خاصاً من التركيب ، لذا فُصِل بين المتعاطفين، فمسألة التشريك – كما يرى د. رعد هاشم– مسألة نسبية ، وذلك ((أنَّ العطف بالواو بين المفردين إذا كان بصورته الاعتيادية ، كان التشريك تاماً ، وإذا جاء على غير عادته بأن فصل بين المتعاطفين فاصل ما ، كان التشريك ناقصاً))[١٥].ودليله على ذلك نماذج من آي الذكر الكريم.

ثم ذكر سيبويه الفاء بعد الواو ، وذلك لأن الفاء تفيد التشريك من ناحية الحركة الإعرابية ((ومن ذلك قولك : مررتُ بزيدٍ فعمرٍو ، ومررتُ برجلٍ فامرأةٍ . فالفاء أشركتْ بينهما في المرور وجعلت الأول مبدوءاً به))[١٦] وعلى حد قول السيرافي ((الفاء ليس لها الجمع ، إنَّما لها التوالي ، وهي بمنزلة عامل آخر))[١٧] .

فكان ترتيب سيبويه لحروف العطف ترتيباً دقيقاً قائماً على الدور الذي يقدمه كل حرف– وان اختلف محل الكلام في كتابه– . ففي معرض التمييز بين بين الواو والفاء ، قال: ((والفاء وهي تضم الشيء إلى الشيء ، كما فعلت الواو، غير أنَّها تجعل ذلك متسقاً بعضه في إثر بعض ، وكذلك قولك: مررتُ بعمرٍو فزيدٍ فخالدٍ ، وسقط المطر بمكان كذا ، فمكان كذا وكذا ، وإنَّما يقرو أحدهما بعد الآخر))[١٨] .

وقال السيرافي في شرح أبيات سيبويه : ((الفاء التي للعطف ، ومن شأنها أن يكون المعنى الذي اشترك فيه المعطوف عليه حاصلاً للمعطوف ، بعد حصوله للمعطوف عليه بلا مهلة فصل ، ويكون حصوله للثاني عقيب حصوله للأول ، نحو قولك : زيد آتيك فمحدثك. أي يحصل الحديث من قبله بعد إتيانه بلا فصل ، ولا يجوز أن يكون الحديث الذي أخبرت به عنه حصل قبل الإتيان، ولا في الحال الذي حصل فيه الإتيان ، وإذا أردت أن تخبر عن شخص من الأشخاص بخبرين هما حاصلان

له في حال واحدة ، لم يجز أن تعطف أحدهما على الآخر بالفاء ، لأنَّهما حصلا في زمان واحد ، والفاء توجب أن زمان أحدهما بعد زمان الآخر ، فان أدخلت الفاء فسد معنى الكلام))[١٩]. فالفاء ليست كالواو .

وجعل ثمّ بعد الفاء ، وسبيلها سبيل الفاء في أنَّ الثاني داخل في معنى الأول ، وأنَّه بعده إلا أنَّ بين الثاني والأول مهلة[٢٠] ؛ لذلك قال سيبويه : ((مررتُ برجلٍ ثم امرأةٍ ، فالمرور ههنا مُرورانِ ، وجعلتْ ثُمّ الأوّل مبدواً به وأشركتْ بينهما في الجر))[٢١]. كما أنّها تختلف عن الفاء بدلالتها على التراخي.

أما (أو) فحديثه عنها جاء في مواضع مختلفة من كتابه ومنها الموضع الذي أوردناه ، فنجده يلتفت إلى أثره الإعرابي من حيث انتصاب ما بعده أحياناً، قائلاً : ((اعلم أن ما انتصب بعد " أو " فانه ينتصب على إضمار أن ... إذا قال : لألزمنك أو تعطيني. كأنه يقول : ليكونن اللزوم أو أن تعطيني. واعلم أن ما انتصب بعد أو عل (إلا أن)... (فهو مثل قولك): لألزمنك أو تقضيني ، ولأضربنك أو تسبقني ، فالمعنى لألزمنك إلا أن تقضيني ، ولأضربنك إلا أن تسبقني ، هذا معنى النصب ، قال امرؤ القيس:

قلت له لا تبك عينك إنما نحاول ملكاً أو نموت فنعذرا

والقوافي منصوبة ، فالتمثيل على ما ذكرت لك ، والمعنى على " إلا أن نموت فنعذرا"))[٢٢].

هكذا أقر سيبويه القاعدة الإعرابية لما بعد "أو" من حيث النصب في مثل هذا المقام ، فلما لم يستقم له النصب في تأويل عمل (أو) في قوله تعالى : ((**ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون**))[سورة الفتح:١٦]. لجأ إلى القول بالإشراك الإعرابي ، أو التقدير النحوي[٢٣]، قال: ((مررتُ برجلٍ أو امرأةٍ ، فأو أشركتْ بينهما في الجرّ ، وأثبتت المرور لأحدهما دون الآخر ، وسوّتْ بينهما في الدّعوى))[٢٤].

يبدو أن سيبويه كان أحد رواد النحو الأوائل الذين وجهوا مناهج النحويين نحو الاهتمام المطلق بفكرة الاتباع الإعرابي في موضع العطف ، على الرغم من إشارته إلى أفكار تتصل بدلالة حروف العطف ، من حيث الترتيب والتشريك وحسن النظم وغير ذلك[٢٥].

ب / معيار الدوران في الكلام:

قدّم (الواو) على حروف العطف الأخرى ؛ كونها الأكثر دوراناً على الألسنة من باقي حروف العطف الأخرى ، ثم رتب الأخريات تبعاً لدورانها وكثرة دخولها في الكلام.

٣- خصائص الاستدلال:

اعتمد سيبويه –في نصه هذا– الأمثلة المصنوعة ، مثل : (مررتُ برجلٍ وحمارٍ، ومررتُ برجلٍ ثم امرأة) ، ولم يمثل بشواهد قرآنية أو أبيات شعرية ، يبدو لأسباب كثيرة ، فقد يكون – فيما يخص القرآن الكريم– تحرجاً من القرآن الكريم ، أو لأنَّه في اطار البحث عمَّا يحفظ القرآن الكريم من اللحن ، والاحتجاج بشواهد منه قد يوهم اللذين يريدون النيل من القرآن ، أو لأنَّ سيبويه أراد التّقعيد للغة بصورة عامة ، واللغة تضم القرآن وغير القرآن. فالمقام كان حرجاً مع سيبويه. وعندما اتسع المقام مع السيرافي فصل وجاء بشواهد قرآنية. وحصراً في الحديث عن الواو كونها لا توجب تقدم ، وما تقدم لفظه. قال[٢٦]: قال الله في قصة واحدة في البقرة : ((**وادخلوا الباب سجداً وقولوا حِطّة نغفر لكم خطاياكم**))[البقرة : ٥٨]. وقال في الأعراف : ((**وقولوا حِطةٌ وادخلوا الباب سجدا**))[الاعراف:١٦١].

وعندما تحدث عن الإشراك في مواضع الجر مثّل بمثال كان معطوفاً على مجرور (مررتُ برجلٍ وحمارٍ قبلُ) ، وذلك تناسباً مع الحديث في الأبواب السابقة التي تبدأ بهذا باب الجر. ثم بدأ الحديث عن التوابع بتسلسل ، فالأبواب جاءت متسلسلة مترابطة فيما بينها وهذا الترابط موجوداً في إشارته للتوابع ، بقوله : (هذا باب ما اشرك بين الاسمين في الحرف الجار فجريا عليه كما اشرك بينهما في النعت فجريا على المنعوت).

٤- خصائص الأحكام:

في مطلع النص نلتمس حكم الشبه القائم بين العطف والنعت من حيث الإشراك فالمعطوف يُشرك المعطوف عليه في الإعراب كما يشرك النعت المنعوت في الإعراب، قال: **(هذا باب ما أشرك بين الاسمين في الحرف الجارّ فجريا عليه كما اشرك بينهما في النعت فجريا على المنعوت).**

كما نجده يقدم الأصل على الفرع ، فالواو أصل حروف العطف[٢٧] وسماها المرادي: أم باب حروف العطف[٢٨]، ودليل ابن يعيش على ذلك (أنها لا توجب إلا الإشراك بين شيئين فقط في حكم واحد، وسائر حروف العطف توجب زيادة حكم على ما توجبه الواو)[٢٩]، فالفاء مثلاً توجب الترتيب، و أو: الشك وغيره ، وبل: الإضراب ، (فلما كانت هذه الحروف فيها زيادة معنى على حكم الواو، صارت بمنزلة الشيء المفرد، وباقي حروف العطف بمنزلة المركب مع المفرد، فلهذا صارت الواو أصل حروف العطف)[٣٠].

وفي المعنى نفسه ينقل السيوطي عن كتاب (تذكرة ابن الصائغ) رأياً للأعلم الشنتمري (ت ٤٧٦هـ) يقول فيه: (أصل حروف العطف الواو، ولا تدل على أكثر من الجمع والاشتراك ، وأمّا غيرها فيدل على اشتراك ، وعلى معنى زائد كالترتيب والمهلة والشك والإضراب والاستدراك والنفي فصارت الواو بمنزلة الشيء المفرد وباقي الحروف بمنزلة المركب، والمفرد أصل المركب)[٣١].

ولأنَّ الواو أصل حروف العطف فقد انفردت عن سائر حروف العطف ، ويورد ابن جني دليلاً على أصالتها في العطف ، وقد نسبه إلى أبي علي الفارسي وهو: جواز عطف الجملة الاسمية على الفعلية بالواو دون غيرها من حروف العطف لأصالتها في العطف، ولما تمتع به من قوة وتصرف، وقد أجاب منْ يسأل عن جواز العطف المذكور بقوله: ((إنه قد يجوز مع الواو، لقوتها وتصرفها، ما لا يجوز مع الفاء من الاتساع، ألا ترى أنك لو قلت: قام محمدّ فعمرو جالس، وأنت تعطف على حد ما تعطف بالواو، لم يكن للفاء هنا مدخل، لأن الثاني ليس متعلقاً بالأول، وحكم الفاء إذا كانت عاطفة ألاّ تتجرد من معنى الاتباع والتعليق بالأول))[٣٢].

ومن خصائص أحكامه في هذا الباب أيضاً التسلسل في تتابع الأحكام من المثال إلى القاعدة ، فبعد أن مثّل للواو قال: يجوز أن يكون المرور وقع عليهما في حالة واحدة.

٥- **خصائص التعريفات:**

أسلوب التعريف في هذا النص قائم على التمثيل ، فعندما يبدأ الكلام عن كل حرف من حروف العطف يبدأ بمثال من خلاله يُعرّف الحرف. فعّرف الواو بقوله : مررتُ برجلٍ وحمارٍ قبلُ ، وعرّف الفاء بقوله : مررتُ بزيدٍ فعمرو ، و ثم ، بمررتُ برجلٍ ثم امرأةٍ ، و أو مررتُ برجلٍ أ و امرأةٍ.

ثانياً/ العنصر التعبيريّ:

عندما نأتي لنتبين طوابع أدائه اللغوي ، في استخدام المفردات والصياغة في السياقات الكلامية، نلحظ أبتداءاً أنّ سيبويه سمّى العطف (إشراكاً) ، وذلك يتضح بقوله : (هذا باب ما اشرك...) ، ولم يسمه بما هو متعارف عليه بعده (العطف). ويبدو أن السبب في هذه التسمية هو تأثير العامل ، فالثاني مشترك بتأثير العامل الأول.

ولعل تسمية سيبويه العطف بـ (الإشراك) أو (التشريك) هي العلّة من وراء ما ذهب إليه بعض المحدثين من إخراج العطف من التوابع ، ومنهم "إبراهيم مصطفى" في إحياء النحو بقوله: ((فليس الأمرُ في العطفِ اتباعاً ، وإنَّما هو كما قال سيبويه : إشراك وتشريك))[٣٣]. أي أن ما بعد العطف شريك لما قبله في الحكم إسناداً وإضافة.

بعد الاطلاع على شرح السيرافي ، لاحظنا اختلاف بعض المصطلحات بين سيبويه والسيرافي، إذ نلحظ أنّ سيبويه بيّن الكلام في حالة الإثبات فقط بمثال ، ثمّ عرّج على المعنى الآخر واطلق عليه (النفي) مع إيراد مثال توضيحي. أما السيرافي فقد أطلق مصطلح (الإيجاب والجحد) وأكثر الأمثلة في شرحه لحالة الإثبات والنفي التي أوردها سيبويه ، فعن الواو قوله : ((تعطف بها في الإيجاب والجحد

، وفي كل ضربٍ من الفعل ، تقول في الجحد : ما قام زيد وعمرو . وفي الإيجاب: قام زيد وعمرو))[٣٤]، وهذا دليل على تطور المصطلح بعد سيبويه.

ومن النحاة من خطأ سيبويه ومنهم من صوّبه في توجيهه للمعنى الذي أراده من كلمة (مرورين) التي اطلقها في قوله: ((قد تقول : مررتُ بزيدٍ وعمرٍو ، على أنّك مررت بهما مُرورين، وليس في ذلك دليك على المرور المبدوء به ، كأنه يقول: ومررتُ أيضاً بعمرٍو . فنفي هذا : ما مررتُ بزيد وما مررتُ بعمرٍو))[٣٥].

وذكر السيرافي قول المازني ردّاً على سيبويه : نفي هذا وإن أراد مرورين ما مررت بزيد وعمرو. قال: والذي قال سيبويه خطأ ، قال: ولو قال مررت بزيد ومررت بعمرو كان نفيه : ما مررتُ بزيد ، وما مررتُ بعمرو. قال أبو سعيد : وما قال سيبويه أصح وأجود ، وذلك أن الثاني مكذِّب للمثبت فيما ثبّته وخبّر به. فإذا كان الذي خبّر به مرورين كل واحد منهما وقع بأحد الرجلين، وقال : ما مررتُ بهما. احتمل أن تريد: وما مررتُ بهما بمرورٍ واحدٍ ، فلا يكون مكذّبا، وإذا قال: ما مررتُ بزيد ، وما مررتُ بعمرو ، فقد كشف التكذيب له وأبطل التأويل[٣٦].

إنَّ تعابير سيبويه تعكس أسلوبه الخاص الذي تحدده غاياته ، وعلى قلّة ما نجده من مصطلحات غامضة في كتاب سيبويه ، إلا أنَّ الأعم الأغلب فيه هو السلس القائم على الفصاحة والبلاغة المستنبطة من أفواه العرب الفصحاء. وأن لم تستقر بعض تلك المصطلحات في زمن سيبويه أو بعده بفعل التطور اللغوي.

ثالثاً/ الحصيلة التقويميّة:

بعد هذه المحطات المتوالية والتأملات المتفحصة ، أمام نص سيبويه في العطف، أصبح بإمكاننا أن نخرج بحصيلة تقويميّة ، نستشف منها القيمة العلمية للنص نلخصها بالآتي:

١- لم يتحدث سيبويه عن موضوع العطف (الإشراك) في موضع واحد من كتابه ، إذ بحثه في مواضع متفرقة تتوزع في صفحات الكتاب مما يجعل الباحث يتجشم عناء جمع شتات الموضوع.

٢- استعمل سيبويه مصطلح (الإشراك) إلا أن النحاة بعده استعملوا مصطلح العطف ، وهذا من الأدلة على عدم استقرار المصطلح النحوي في عهد سيبويه ، لأن عصره بداية التأليف النحوي وكل علم لا يعد علماً اذا ما احتوى على مصطلحات ، والمصطلحات غير مستقرة في عهده لذا نجد بعض تسميات سيبويه مخالفة لما تعرف اليوم من مصطلحات مستقرة قد استقرت في عصور لاحقة لسيبويه ؛ لأولية كتاب سيبويه ، ولأن مصطلحات النحو لم تنضج في زمانه.

٣- سيطرة فكرة العامل على منهج سيبويه وعباراته ، ومن أدلة ذلك أنه سمى الموضوع بالإشراك و ولم يسمه العطف ؛ لأنَّ الثاني مشترك بتأثير العامل مع الأول. ومن آثار هذه التسمية أنَّ بعض الباحثين المحدثين أخرجوا العطف من التوابع.

٤- اعتمد في طرح أفكاره على المنهج الكلي القائم على الإجمال ثم التفصيل ، وهي طريقة كلية في التعليم ، أي البدأ بالكل والانتهاء بالجزء ، اتبعها سيبويه على الفطرة ، في كتابه كله وفي هذا النص بالذات ، إذ يبدأ بالحكم (القاعدة) ثم يشرح جزئياتها. وهذه الطريقة ندركها اليوم بما عُرف بمصطلح (الجشطالت) ، وهي كلمة ألمانية تعني الشكل قانونها (أن الكل أكبر من مجموع أجزائه) مؤسس هذه النظرية كل من كهلر وماكس وفريمتر[٣٧].

٥- كان ترتيب سيبويه لحروف العطف ترتيباً منطقيّاً دقيقاً قائماً على الدور الذي يقدّمه كل حرف ، لذا بدأ بالواو دون غيرها من حروف العطف ، لإفادتها الإشراك بين المعطوف والمعطوف عليه في الإعراب والمعنى ، وهو مبدأ صحيح قائم على المنطق السليم.

٦- أثبت النص اهتمام سيبويه المطلق بفكرة الاتباع الإعرابي في موضوع العطف ، من خلال تأكيده على دور حروف العطف في الإشراك الإعرابي .

٧- النص على قصرة ضمَّ الكثير من الضوابط والأحكام التي أوجزها سيبويه ودرست بعشرات الدراسات ، سواء باعتمادها أو بشرحها. فنص العطف القصير الذي جئنا به من كتاب سيبويه نجده يطول عند السيرافي ، وهذا دليل على مرونة نص سيبويه.

٨- النص يخلو من الشواهد القرآنية والشعرية ، إذ نجد سيبويه يعتمد على الأمثلة المصنوعة. ولعل السبب – فضلاً عن الأسباب التي ذكرناها في خصائص الاستدلال- هو غاية سيبويه التعليمية.

الخاتمة وأهم النتائج:

بعد هذه الجولة المفيدة في دراسة نص سيبويه في التشريك (العطف) ، والتي واجهت فيها صعوبات لجدة الموضوع ، ولأني لم أبحث في تحليل النصوص من قبل. أختمُ عملي بحمد الله وشكره ، وأعرضُ عن ذكر نتائج البحث تجنباً للتكرار ، فما أوردّته في المحصلة التقويمية هو بمثابة أهم النتائج التي توصل إليها البحث ، راجية من الله أن أكونُ قد أصبتُ في عملي ولم أجانب الصواب ، وأطمحُ لأن ينال عملي رضا القارئ واستحسانه. هذا والحمد لله رب العالمين الذي بيده التوفيق والصلاة والسلام على اشرف خلقه أجمعين محمد واله الطيبين الطاهرين.

الهوامش :

(١) ينظر: بلاغة العطف في القرآن الكريم : ٥٤-٥٥ .
(٢) الكتاب : ٤٣٧/١ .
(٣)الكتاب : ٣٧٧/٢ .
(٤) المصدر نفسه : ٤٣٧/١ .
(٥) شرح السيرافي : ٣٢٩/٢ .
(٦) الكتاب : ٤٣٨/١ .
(٧) شرح السيرافي:٣٣٠/٢ .
(٨) شرح الكافية : ٣٦٤/٢، معني اللبيب : ٣٩٢ .
(٩) الكتاب: ٣٤/١ .
(١٠) ينظر: الجنى الداني : ١٨٩ .
(١١) ينظر: الاختلاف بالحدث بين المتعاطفين المفردين بالواو في السياق القراني:٥١ .
(١٢) ينظر: الكتاب : ٤٣٧/١-٤١/٤٣٨,٤، والاختلاف بالحدث بين المتعاطفين: ٥١ .
(١٣) إحياء النحو : ١١٦ .

(١٤) ينظر : في النحو العربي قواعد وتطبيق : ١٩١ .

(١٥) الاختلاف بالحدث بين المتعاطفين المفردين بالواو في السياق القراني:٥١ .

(١٦) الكتاب : ٤٣٨/١ .

(١٧) شرح السيرافي:٣٢٩/٢-٣٣٠ .

(١٨) الكتاب : ٢١٧/٤ .

(١٩) شرح أبيات سيبويه: ١٠٠/١ .

(٢٠) ينظر: شرح السيرافي: ٣٣٠/٢-٣٣١ .

(٢١) الكتاب: ٤٣٨/١ .

(٢٢) الكتاب : ١/ ٤٢٧ .

(٢٣) ينظر : بلاغة العطف في القرآن الكريم:٥٧ .

(٢٤) الكتاب : ٤٣٨/١ .

(٢٥) ينظر : بلاغة العطف في القرآن الكريم: ٥٨ .

(٢٦) شرح السيرافي : ٣٣٠/٢ .

(٢٧) شرح المفصل : ٩٠/٨ .

(٢٨) ينظر: الجنى الداني: ١٨٨.

(٢٩) شرح المفصل: ٩٠/٨.

(٣٠) المصدر نفسه: ٨/ ٩٠.

(٣١) الأشباه والنظائر في النحو: ٢/ ٩٣.

(٣٢) سر صناعة الإعراب: ١/ ٢٦٥ وينظر أيضاً: شرح الكافية: ١/ ٣٢٨.

(٣٣) إحياء النحو: ١١٦ .

(٣٤) شرح السيرافي : ٢/ ٣٢٩ .

(٣٥) الكتاب : ٤٣٨/١ .

(٣٦) شرح السيرافي: ٣٣٦/٢ .

(٣٧) ينظر: منهجية سيبويه من خلال كتابه الكتاب: ٤٧٨-٤٧٩ .

المصادر والمراجع:

١. إحياء النحو ، د. إبراهيم مصطفى ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٥م.

٢. الاختلاف بالحدث بين المتعاطفين المفردين بالواو في السياق القرآني (بحث) ، أ.د رعد هاشم ، مجلة جامعة ذي قار ، العدد١، المجلد٦، كانون الأول ٢٠١٠م.

٣. الأشباه والنظائر ، السيوطي ، دار الكتب العلمية ، لبنان – بيروت ، ط١، ١٩٩٠م.

٤. بلاغة العطف في القرآن الكريم ، د. عفت الشرقاوي ، دار النهضة العربية ، لبنان– بيروت ، ط١، ١٩٨١.

٥. الجنى الداني في حروف المعاني ، أبو ممد المرادي ، تح: د. فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٢م.

٦. سر صناعة الإعراب ، ابن جني ، دار الكتب العلمية ، لبنان – بيروت ، ٢٠٠٠م.

٧. شر كتاب سيبويه ، السيرافي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١، ٢٠٠٨م.

٨. شرح أبيات سيبويه ، السيرافي ، دار الفكر للطباعة والنشر ، القاهرة – مصر ، ط١ ، ١٩٧٤م.

٩. شرح الرضي على الكافية ، الاستربادي ، جامعة قار يونس– ليبيا ، ١٩٧٥م.

١٠. شرح المفصل ، ابن يعيش ، دار الكتب العلمية ، ط١، ٢٠٠١م.

١١. في النحو العربي قواعد وتطبيق ، د. مهدي المخزومي ، دار الرائد للنشر والتوزيع ، ١٩٨٦م.

١٢. الكتاب ، سيبويه ، تح: عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي – القاهرة ، ط٣، ١٩٨٨م.

١٣. مغني اللبيب ، ابن هشام ، دار الفكر – دمشق ، ط٦، ١٩٨٥م.

١٤. منهجية سيبويه من خلال كتابه الكتاب (بحث) ، حربية محمد – مبارك حسين ، جامعة السودان ، مجلة العلوم الإنسانية ، ٢٠١٥م.